

دلالة المقاطع الصوتية في الحجاج القرآني آيات (٧٣-٩٨) من سورة مريم نموذجاً

محسن سليمان سعيد

مديرية تربية أربيل epu20m13@epu.edu.iq

شاهو عثمان رضا أحمد

مديرية تربية أربيل

يونس عثمان محمد أمين

مديرية تربية أربيل

**The Semantics of phonemic Syllables in the Quranic Argument.
Verses (73-98) from Surat Maryam as a model**

MOHSIN SULAIMAN SAEED.

Erbil Education Directorate

Email and Mobile Number: m76.dashty@gmail.com , 07504560845

SHAHO OTHMAN RIDHA.

Erbil Education Directorate

YUNUS OTHMAN MUHAMMAD AMIN.

Erbil Education Directorate

المستخلص - إنَّ للصوت اللغوي أهمية في دراسة النص القرآني لكونه يتشكل اللبنة الأولى والوحدة اللغوية الصغرى للكلمات والتراكيب والآيات، والنص القرآني من أهم مدونات اللغوية التي تحظى بالدراسة والبحث لما يُعدُّ منبعاً صوتياً للنطق العربي الفصيح ومادة صوتية مهمة رفدت الدرس اللغوي، وآياته نبيراً في استلهاهم نتائجها في المزج بين الدلالات والأصوات، إنَّ هذا النظم الموسيقي جعلنا نهتم بالأسلوب القرآني انطلاقاً من الجانب الصوتي، إذ عنواننا بحثنا بـ(دلالة المقاطع الصوتية في الحجاج القرآني)، وغاية البحث إبراز مساهمة ملامح الأصوات في ردد الدلالة السياقية للنص، معبراً بإبجاءاتها الصوتية أصدق التعبير وأدق العواطف والانفعالات، وتتم ذلك من خلال التحليل لنوعية المقاطع في الآيات وعلاقتها بجو النص، واحتساب المقاطع ضمن ظاهرتي: التدرج-المقابلة في آيات حجاجية لسورة مريم إذ وقعت في نهاية السورة بعد ذكر مقتطفات من ذكر الأنبياء والرسول. واعتمد الباحث في هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي، إذ يساعد على الوصف وتشخيص ظاهرة المقاطع الصوتية ثم تحليلها.

مفاتيح الكلمات: الصوت، المقطع، الدلالة، الحجاج، القرآن الكريم.

The Semantics of phonemic syllables in the Quranic Argumentation

Abstract- The linguistic phoneme is important in the study of the Quranic text because it forms the first building block and the minor linguistic unit of words, structures, and verses. The Quranic text is one of the most important linguistic records that are studied and researched for what is an audio source for eloquent Arabic pronunciation and important audio material that has supported the linguistic lesson. Inspired by its results in a mixture of semantics and sounds.

This musical system made us interested in the Quranic style from the phonemic aspect, as we named our search title (the Semantics of phonemic syllables in the Quranic Argumentation). This research aims to highlight the contribution to phoneme cues to aid the contextual significance of the text, and he expresses with sound signals the truest expression and the most accurate emotion, This is done through an analysis of the quality of the syllable in the verses and their relationship to the atmosphere of the text, and the calculation of the syllables within the two phenomena: the graduation - the interview. In their different dimensions and the Argument's verses of Surat Maryam, as it occurred at the end of the Surat after mentioning excerpts from mentioning the Prophets and Messengers.

In this research, the researcher relied on the descriptive and analytical approach, as it helps to describe and diagnose the phoneme phenomenon and then analyze it.

Keywords: Phoneme, Syllables, The semantics, Argumentation, The holy Quran.

1 المقدمة

إن الدراسة الصوتية هي المحور الأول للدخول الى عالم النص والكشف عن أسرارها، وتعد خطوةً بدائيةً للدراسات اللسانية الحديثة، وقد عرف العرب أهمية الصوت في بناء المعاني والكشف عن التناسب بينها وبين الدلالات، وتعدُّ دراسة المقاطع الصوتية خطوة من خطوات الدراسات اللغوية، وأنَّ دراسة دور المقطع الصوتي تساعد على تعميق فهم النص القرآني وكشف مستواه الفني، يحاول الباحث من خلال هذا البحث الإجابة عن الأسئلة التالية: هل يستطيع المقطع الصوتي أن يؤدي دوراً دلاليّاً في النص القرآني من خلال قيمته التعبيرية؟ هل تؤدي المعاني المتباينة إلى استخدام المقاطع الصوتية المختلفة؟ وهل تؤدي تغيير الطمأنينة والراحة إلى القلق والاضطراب من معاني الآيات إلى تغيير المقاطع الصوتية فيها؟ وكيف؟ لماذا أواخر سورة مريم؟ لما ذكر الله تعالى طائفة من الأنبياء والرسول والمقططات من قصصهم للعتة والاعتبار وكان الغرض الأساسي إظهار قدرة الله تعالى على الإحياء والبعث والنشور، وفي أواخر هذه السورة (بدءاً من آية ٧٣ إلى نهاية السورة) ذكر بعض شبهة الكافرين على قدرة الله تعالى لذلك اليوم ! وجاء الخطاب القرآني بحجج قاطعة وبراهين ساطعة رداً عليهم. تم اختيار الآيات الحجاجية عينة للدراسة لأنها لم تدرس من قبل فيما أعلم، وتحديدًا في أواخر سورة إبراهيم وهي ست وعشرون آية، فمن حيث الحجم مناسبة لدراستها للكشف عن أسرار تنظيم المقاطع الصوتية وتلوينها تبعاً للانفعالات النفسية. فحاولنا في هذا البحث دراسة المستوى الصوتي للخطاب الحجاجي في القرآن الكريم من خلال المقطع الصوتي وعلى وفق المنهج الأسلوبية. واعتمد الباحث على مصادر ومراجع متنوعة بتنوع الموضوعات المدروسة لاتمام هذه الدراسة ككتب اللغة والتفسير والأبحاث الصوتية التي اتخذت من الأسلوبية منهجاً لها. وهناك تساؤل يعد إشكالية لهذا البحث وهو: ما الأسرار التي يسموا بالأصوات القرآن فيجعله إيقاعاً متميزاً ومعجزاً، ومؤثراً حتى على الذين لا يفقهون بها، بحيث يتغلغل في النفوس فيغمرها انشراحاً وإيماناً؟ ثم تأتي أهمية هذه الدراسة الصوتية من أنها من صلب دراسة النصوص الأدبية؛ ولأن التحليل الصوتي من خلال المقاطع الصوتية يساعد كثيراً في الكشف عن الجوانب الجمالية فيها، بالإضافة إلى ما فيه من كشف للانفعالات النفسية

التي تحكم مبدعها، والتي تدفعه إلى اختيار النوع والكم من المقاطع الصوتية، وأن الصوت مظهر للانفعال النفسي وهذا الانفعال مسبب في تنوع المقاطع الصوتية، ولا يخفى وجود الارتباط بين المستويات التحليل الأسلوبية للنص، وأن المستوى الصوتي تُعدُّ خطوة أولى للمستويات الأخرى من الصرف والتركيب والدلالة؛ فليمكن دراسة المستوى الصرفي للنصوص دون الاعتماد على الصوت، ولا يخفى دعم الهائل للدراسة الصوتية هذه للدلالة، ومن فوائد هذه الدراسة أيضاً بيان مزيد من الظواهر الصوتية من التدرج والمقابلة في المقاطع الصوتية ودورها من دعم الدلالة وجمالية النص القرآني. أما عن أهداف البحث فيمكن تحديد أهمها:

- ١: الوقوف على جمالية الخطاب القرآني والكشف عن ملامح إعجازه الأسلوبية.
- ٢: تحليل الخطاب القرآني بدءاً من أصغر وأدق وحداته تحليلاً يكشف عن جمالية ذلك الخطاب ومناسبة وحدات الصوتية لمقاصد الخطاب ومعانيه وأغراضه التي يرمي إليها.
- ٣: اكتشاف التناسب بين المقاطع الصوتية المتعددة (من حيث الكم والكيفية) والأجواء النفسية التي تخلقها الحوار الحجاجي من القلق والاضطراب والرغبة والانفعالات المتصاعدة والاطمئنان والسكينة.
- ٤: تنمية أذواق القراء للإقبال على الدراسات القرآنية.
- ٥: تصحيح تصورات الذين يزعمون أن الحديث عن الدراسات القرآنية أقوال منكرة لاجديد في طرحه ولا جدوى من تكراره.
- ٦: إمتاع النفوس عن طريق تذوق الأسلوب القرآني وتحليله صوتياً.

1-1 : الأصوات : لغة: هو مصدر للفعل (صات-يصوت) والصائت الصائح، (منظور، ١٩٩٧) وجاء في المقاييس: الصاد والواو والتاء أصلٌ صحيح وهو الصوت، وهو جنسٌ لكل ما وقر في أذن السامع، (الحسين، ١٩٧٩).

اصطلاحاً: جاء في لسان العرب أنّ الصوت إطلاقاً هو الجرس، (منظور، ١٩٩٧) ويعرفه ابن سينا بأن الصوت سببه القريب تموج الهواء ودفعه بقوة وسرعة من أي سبب كان، (سينا، ١٣٣٢هـ)، وأما الصوت اللغوي هو أثرٌ سمعيٌ يصدر طواعية واختياراً عن تلك الأعضاء النطق، (بشر، ٢٠٠٠).

2-1 : الحجاج (Argumentation) تعريفه :

لغة: جاء في لسان العرب في مادة "ح ج ج" : يقال حَجَّجْتُهُ أَحَاجُهُ جِجَاجاً وَمُحَاجَّةً حَتَّى حَجَّجْتُهُ أَي غَلَبْتُهُ بِالْحُجَجِ الَّتِي أُدْلِيْتُ بِهَا . . وَالْحُجَّةُ النُّزْهَانُ وَقِيلَ الْحُجَّةُ مَا دُوْفِعَ بِهِ الْخَصْمُ، وَنَقَلَ ابْنُ مَنْظُورٍ قَوْلَ الْأَزْهَرِيِّ بَأَنَّ الْحُجَّةَ هِيَ الْوَجْهَ الَّذِي يَكُونُ بِهِ الظَّفَرُ عِنْدَ الْخِصْمَةِ، وَفِي قَوْلِنَا: هُوَ رَجُلٌ مَحْجَاجٌ، أَي جَدَلٌ، وَالتَّحَاجُّ التَّخَاصُمُ، وَجَمْعُ الْحُجَّةِ حُجَجٌ وَجِجَاجٌ، (منظور، ١٩٩٧).

اصطلاحاً: الحجاج هو وسيلة المتكلم في جعل المتلقي يتقبل آراءه واتجاهاته وانتقاداته وتوجيهاته، (تابتي، ٢٠٠٧). أو هو إجراء يستهدف من خلاله شخص ما حمل مخاطبه على تبني موقف معين عبر اللجوء إلى حجج تستهدف إبراز هذا الموقف أو صحة أسسه، فهو إذن عملية هدفها إقناع الآخر والتأثير عليه، (الزهران، ٢٠٠٨).

3-1 : إيحاء المقطع الصوتي (syllable)

المقصود من المقطع الصوتي هو أصغر تركيب يمكن أن تقف عليه المتكلم، (عبدالتواب، ١٩٩٧) أو مجموعة أصوات تنتج بنبضةٍ أوخفقةٍ صدرية واحدة. (عمر، ١٩٧٦)، ويتألف من مجموعة الصوامت والصوائت مقاطع، والمقاطع بدورها تشكل كلمة، وقبل الحديث عن أنواع المقاطع نحتاج إلى تعريف لمصطلحي الصائت والصوامت.

١: الأصوات الصامتة (Consonants): هي الأصوات التي تحدث أثناء النطق بها اعتراض أو عائق في مجرى الهواء سواءً أكان الاعتراض كاملاً أم جزئياً، (السعران، ١٩٩٧. قدور، ٢٠٠٨).

٢: الأصوات الصائتة (Vowels): عبارة عن الأصوات التي تخرج عند النطق بها في مجرى مستمر خلال الحلق والقم. من غير أن يعترض لتدخل أعضاء آلة النطق تدخلاً يؤدي إلى حبس أو تضيق يسبب احتكاكاً مسموعاً، لذلك اعتمد نطقها على اهتزاز الوترين الصوتيين الذي يولد الجهر، (الحمد، ٢٠٠٤، بشر، ٢٠٠٠، قدور، ٢٠٠٨). وأنواع المقاطع في اللغة العربية خمسة، (أنيس، ٢٠٠٧، عمر، ١٩٧٦، شاهين، ١٩٨٠، نوري، ١٩٩٦). ويمكن أن نرمز (ص) ليشير إلى الأصوات الصامتة، ونضع (ح) ليشير إلى الأصوات أو الحركات الصائتة، هكذا يمكن عرض الأشكال الرئيسية للمقاطع العربية :

١: المقطع القصير: (ص ح)، ويتألف من صامتٍ وحركةٍ قصيرة، فكلمة (نَشَرَ) مكونة من ثلاثة مقاطع قصيرة: ص/ح/ص ح

- ٢: المقطع المتوسط المفتوح: (ص ح ح)، ويتألف من صامت وحركة طويلة مثل: لا .
 ٣: المقطع المتوسط المغلق: (ص ح ص)، ويتألف من صامت ثم حركة قصيرة، يتلوها صامت، مثل: قَدْ .
 ٤: المقطع الطويل المغلق: (ص ح ح ص)، ويتألف من صامت ثم حركة طويلة يتلوها صامت، مثل: جان .
 ٥: المقطع الطويل مزدوج الاغلاق: (ص ح ص ص) ويتألف من صامت ثم حركة قصيرة، يتلوها صامتتان، مثل: فُضِّل.

والملاحظ أنَّ المقاطع الثلاثة الأولى هي السائدة في الكلام العربي، والمقطعان الأخيران أكثر ما يكون في أواخر الكلمات حين الوقف. وللمقاطع دور فعال لإنتاج الدلالة وتكوينها، ولاتوجد دلالة ثابتة لكل مقطع بل تتسجم دلالاته مع المقاطع الأخرى المجاورة له وترتبط بالحالات النفسية والانفعالية. بينت الدراسات الصوتية للمقاطع أنَّ المقاطع القصيرة يساهم في زيادة حدة الانتباه واثارة الأسماع بحكم وضوح المقطع وبساطة تكوينه وإيقاعه البارزة لبنائه على صورة واحدة، صامت+صائت قصير، (عبدالجليل، ١٩٨٨). أما المقاطع الطويلة تتلائم مع آهاتٍ محبوسة التي تخرج في هواء زفير طويل ويمكن التعبير خلالها عن الفرح أو الحزن العميق والأمل الموصول إلى مآلنهاية، (مبروك، ١٩٩٣). والذي عرض في بحثنا هذا تسليط ضوء على الإحياءات الدلالية للمقاطع الصوتية في آيات الحجاجية الختامية في سورة مريم من وجهين: أولاً: الإحياء الصوتي من خلال نوعية المقاطع في الآيات وعلاقتها بجو النص. ثانياً: الإحياء الصوتي من خلال احتساب المقاطع ضمن ظاهرتي: التدرج-المقابلة.

2: الإحياء الصوتي من خلال نوعية المقطع:

1-2 : مقطع القصيرة (ص ح):

الإحياء بإيقاعه القصير المتقطع في النَّفس على مشاعر القلق والاضطراب والمنفعل والحيرة وغاية التعجب. يتحدث هذه الآية التالية عن المشركين أنهم لما سمعوا الآيات الواضحات، عجزوا عن معارضتها فبدؤوا بنفسية منهزمة في ميدان المنطق والعقلانية إلى اللجوء بالإفتخار بمالهم من حظوظ الدنيا، كما ورد: (وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا) مريم ٧٣، ووزعت المقاطع الصوتية في الآية هكذا:

مقاطع قصيرة : ١٩

مقاطع متوسطة مغلقة : ١٥

مقاطع متوسطة مفتوحة : ١٥

والذي نلمح بجلاء أنَّ المقطع القصير يفوق على المقطع الوسط المفتوح والمغلق كلَّ على حدة، ليعبر عن القلق والحيرة التي أصاب المنحرفون بعدما عجزوا معارضة القرآن والأتیان بمثله، على الرغم أنهم يظهرون معارضتهم في الحجاج أمام النص القرآني ويتباهون بـ(المقام-الندي) على حد قولهم، بيد أنَّ الإشارة الصوتية يظهر أنَّ القائل في داخله في حالة مرتبكة ومتوترة وهزيلة وعديم الثقة بما يقول. ووردت الجواب الثاني في الآية التي تليها لتلك الشبهة بمنطقٍ آخر كما ورد: (قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا) مريم ٧٥، أي: يا محمد قل لهؤلاء المشركين ببرهم، المدعين على الحق وأنكم على الباطل فأملهه الرحمن فيما هو فيه، حتى يلقي ربه وينقضي أجله، إِمَّا الْعَذَابَ يصبه وإِمَّا بَغْتَةً تَأْتِيهِ فَسَيَعْلَمُونَ حينئذٍ من هو شرٌّ مكاناً وأضعف جنداً ! في مقابلة ما احتجوا به من خير المقام وحسن الندي، (كثير، ١٩٩٩). ففي المستوى الصوتي وزعت المقاطع هكذا: مقاطع قصيرة : ٢٤ ، مقاطع متوسطة مغلقة : ٢٣ ، مقاطع متوسطة مفتوحة : ١٣ . والسياق الدلالي فيه جواب تقييبي صارم، فبلوغ المقطع الصوتي القصير إلى الأقصى والمقطع المتوسط دونه بدرجة واحدة، شارك في الحديث الساخن والمهدد . وفي قوله تعالى: (أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا) مريم ٧٧ ، فيه اسفهاً تعجبي لقول العاص بن وائل الذي زعم أنَّ الله سيعطيه في الآخرة المال والبنين! ووزعت المقاطع هكذا:

مقاطع قصيرة : ١٧

مقاطع متوسطة مغلقة : ٤

مقاطع متوسطة مفتوحة : ٨

والذي يلاحظ أنَّ المقطع الصوتي القصير المتفوق فيها يشارك في جو الآية، وهي من الجمل الانشائية مليئاً بالانفعال، حتى القارئ الفطن حين القراءة تمييزها عن الخبرية لما فيها الحركة والانفعال، ومجئ المقطع القصير بهذا القدر يرفد الدلالة السياقية للآية. وفي قوله تعالى: (

وقالوا آتخذ الرحمنُ ولداً) مريم ٨٨، ينقل الآية على لسان اليهود والنصارى قولاً شنيعاً وبهتاناً عظيماً والجراءة على الله تعالى، بانتساب الولد إليه، والمقاطع الصوتية تشكلت هكذا:

مقاطع قصيرة : ٦

مقاطع متوسطة مغلقة : ٣

مقاطع متوسطة مفتوحة : ٣

والمستوى الصوتي يتفوق المقطع القصير بضعفي متوسطي المفتوح والمغلق، يشارك في ابراز حالة الاضطراب والعجب وتهويل فظاعة ذلك القول، وتوجيه دلالة الآية إلى تلك المعاني ، كما يصورها الآية التي تليها بلفظ: إداً في قوله (لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدَاً) (الزمر، ١٤٠٧هـ). ويليها قوله تعالى: (تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَّقَطِرْنَ مِنْهُ وَتَنْشِقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدَأً) مريم ٩٠، يقول الزمخشري في تفسيره هذه الآية: أن الله سبحانه يقول : كدت أفعل هذا بالسموات والأرض والجبال عند وجود هذه الكلمة غضباً مني على من تقوه بها ، لولا حلمي ووقاري، (الزمخشري، ١٤٠٧هـ). الإشارة الصوتية ترينا استئناف القلق والاضطراب؛ انعكس ذلك ما حصل عليها المقطع القصير (٣مقطعاً) كما يظهر في تشكيل المقاطع:

مقاطع قصيرة : ١٣

مقاطع متوسطة مغلقة : ١١

مقاطع متوسطة مفتوحة : ٥

ومجيء ضعفي مقطع المتوسط المغلق على المتوسط المفتوح يشير إلى الغضب السائد في الآية. وفي قوله تعالى: (وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً) مريم ٩٢، ردّ لقول الشنيع السابق، والآية هذه يسيطر عليها العجب والانفعال، تشكلت المقاطع هكذا:

مقاطع قصيرة : ٨

مقاطع متوسطة مغلقة : ٤

مقاطع متوسطة مفتوحة : ٤

ورد المقطع القصير : ٨ مقطعاً متفوقاً للدلالة على ابراز الانفعال النفسي السائد في الآية. وعندما أخبر الله في آية التي قبلها المرقم (٨٠) في مسألة الحشر والنشر، وأنهم يأتون يوم القيامة فرداً ! والآن يأتي دور المشركين في عرض موقفهم ويصور لنا القرآن أنهم لجؤوا إلى الأصنام ليكون لهم شفعاء وأنصاراً وينقذونهم من الهلاك، أجب الله تعالى بالقول الرادع انكاراً لتعززهم بالآلهة وأن العابدون أو المعبود (على رأى بعض المفسرين) يكفرون بعبادتهم! وليس هذا فحسب، بل يكونون عليهم ضداً وعدواً وشرأ وبلاءً بدلاً من أن يكون عزاً (الرازي، ١٤٢٠هـ). ورد في التنزيل: (واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزاً ، كلاسيفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً) مريم ٨١-٨٢، ووزعت المقاطع في الآية الأولى هكذا :

مقاطع قصيرة : ٨

مقاطع متوسطة مغلقة : ٦

مقاطع متوسطة مفتوحة : ٧

وفي الآية الثانية هكذا:

مقاطع قصيرة : ١١

مقاطع متوسطة مغلقة : ٦

مقاطع متوسطة مفتوحة : ٦

وإذا نظرنا إلى المستوى الصوتي يتبين أن المقطع القصير فاقت في الآيتين تفوقاً ملحوظاً ليكون متساوفاً مع الفحوى الدلالي للآية المليئة بالحركة التوتر. وبعد ذكر حال هؤلاء المجادلين مع آلهتهم في الآخرة، ذكر في الآية التالية حالهم مع الشياطين في الدنيا فإنهم يسألونهم وينقادون لهم (الرازي، ١٤٢٠هـ)، كما ورد في التنزيل : (ألم تر أننا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا) مريم ٨٣ ، وزعت المقاطع الصوتية في الآية هكذا:

مقاطع قصيرة : ١٠

مقاطع متوسطة مغلقة : ٩

مقاطع متوسطة مفتوحة : ٦

والذي يلحظ أنَّ المقطع القصير يتفوقه مسابير لعدم تهدئة جو المحاجة، بل ولا تزال ساخن، ويصعد المقطع المتوسط المغلق ليشترك أيضاً في صرامة التهديد والعقاب .

2-2 : مقطع المتوسط المغلق (ص ح ص):

الإيحاء بإيقاعه إلى الموقف الرهيب أو العقاب الصارم

وورد من هذا النمط من المقاطع في قوله تعالى: (وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَانًا وَرِعًا) مريم ٧٤، أي كثيراً من القرون التي كانت أفضلَ منهم فيما يفتخرون به من الحظوظ الدنيوية كعادي وثمود وأضرابهم من الأمم العاتية قبل هؤلاء أهلكتناهم بفنون العذاب ولو كان ما أتيناهم لكرامتهم علينا لما فعلنا بهم ما فعلنا، وفيه نوع من التهديد والوعيد، (مصطفى، ٩٨٢هـ) .

وزعت المقاطع بهذا الشكل:

مقاطع قصيرة : ٧

مقاطع متوسطة مغلقة : ١١

مقاطع متوسطة مفتوحة : ٣

مما يلاحظ أنَّ المقطع المتوسط المفتوح الذي يمكن أن يعبر به عن الهدوء والراحة، ضئيل؛ لأنَّ السياق الآية يعبر عن شيء مناقض، وهو التهديد، والمقطع المتوسط المغلق خير وسيلة صوتية ليعبر عن الصرامة لهذا الوعيد؛ لذا وصل هذا المقطع إلى ١١ مقطعاً من مجموع ٢١ مقطعاً. ونقف عند قوله تعالى: (فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا، يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدًّا) مريم ٨٤-٨٥، أي لا تستعجل بهلاكهم فإنه لم يبق لهم إلا أيامٌ وأنفاسٌ نعدّها عدًّا، ويوم نحشر المتقين إلى ربهم معززين مكرمين، وافدين عليه كما يفد الوفود على الملوك منتظرين لكرامتهم، (الصابوني، ١٩٩٧ . مصطفى، ٩٨٢هـ)، ففي الآية الأولى تشكلت المقاطع هكذا:

مقاطع قصيرة : ٦

مقاطع متوسطة مغلقة : ٨

مقاطع متوسطة مفتوحة : ٣

تغير موضوع الآية هذه المرقم (٨٥) عن سابقها بحيث يتحدث عن المتقين وإكرامهم وخريطة المقاطع تشكلت هكذا :

مقاطع القصيرة : ٦

مقاطع المتوسطة المغلقة : ٧

مقاطع المتوسطة المفتوحة : ٣

ربما القارئ يسأل سبب تفوق المقطع المغلق لأنَّ الحديث يدور حول المتقين وإكرامهم؟!:

الجواب : صحيح، ولكن يتم ذلك الإكرام في يوم الحشر!! رهيب للناس جميعاً، والآية المرقم (٨٧) تلمح إلى ذلك الموقف الرهيب بقوله: (لا يملكون الشفاعة إلا ...) أي كلا الفريقين المتقين - المجرمين، (البقاعي، ٨٨٥هـ)، هذا أولاً . ثانياً عدل الآية عن التلطف بالجنة ، كأن يقول : يوم نحشر المتقين إلى الجنة . . . مثلاً، وذلك ليبقى الموقف مرهبا ! فالمقطع المتوسط المغلق وردت متفوقاً للدلالة على الرهبة المسيطرة على الآية . وبعدما دار الحديث حول تكريم العباد المتقين، اتبعه إلى ما يدل على إهانة أعدائه فقال: ونسوق المجرمين، أي بالكفر وغيره من المعصية إلى جهنم بسطوة المنتقم الجبار (وردأ) أي عطاشاً، (البقاعي، ٨٨٥هـ)، عقبه قوله تعالى: (لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً) مريم ٨٧، أي: لا يملك الشفاعة في هذا اليوم أحد إلا من يأذن الله تعالى له، لعهد كان له (الأزهر، ١٩٩٥)، إذاً الإنسان قي لحظات وهو بانتظار تحديد مصير غير مستقر، لا يدري ما يفعل به، في هكذا المشاعر والمعاني يأتي المقطع المتوسط المغلق مع المقطع القصير في الأعلى؛ ليشترك في دلالات الخوف والقلق والرهبة، كما يظهر في توزيع المقاطع:

مقاطع قصيرة : ٨

مقاطع متوسطة مغلقة : ٨

مقاطع متوسطة مفتوحة : ٦

وبعدما نسبوا لله سبحانه وتعالى ولداً! استأنف الالتفات إلى خطابهم بأشد الإنكار، إيماء إلى تناهي الغضب فقال: (لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِذَا) مريم ٨٩، أي: لقد جئتم بـ (منكراً عظيماً) ، وفي الإخبار بقولهم هذا، تهديد لهم، ووعد شديد، بما سيلقون من وراء هذا الافتراء، الذي فزعت له السموات والأرض، فكادت السموات تتشقق، وكادت الأرض تتصدع وتتخسف، وكادت الجبال تتهدّ وتتهاوى، (الخطيب، ١٣٩٠هـ). والمقاطع الصوتية في هذه الآية يتساق مع معاني الآية في منتهى الدقة والجمال، انفرد مجيئ المقطع المغلق في الآية تقريباً، بحيث ورد مقطّع قصير من مطلع الآية، ومقطع متوسط مفتوح في النهاية، وإذا وصلنا الآية بآية التي تليها، فيتحول هذا المقطع المتوسط المفتوح إلى المتوسط المغلق، ومن مجموع ٨ مقاطع صوتي، يحتل المقطع المغلق ٧ مقطعاً ومقطع قصير واحد كما يتبين في خريطة المقاطع التالية :

مقاطع قصيرة : ١

مقاطع متوسطة مغلق : ٦

مقاطع متوسطة مفتوحة : ١

يكاد تنقطع النفس لتعاقب المقاطع المغلق متتالية، ليجسد بذلك دلالة الغضب والتهديد والصرامة فيها. وفي قوله تعالى: (إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا) مريم ٩٣، يشير سيد قطب في ظلال هذه الآية بأن الكيان البشري ليرتجف وهو يتصور مدلول هذا البيان، (قطب، ١٤١٢هـ) ويأتي دور الصوت ليشترك السياق الدلالي ويظهر في خريطة توزيع المقاطع هكذا:

مقاطع قصيرة : ٥

مقاطع متوسطة مغلق : ١٠

مقاطع متوسطة مفتوحة : ٦

المقطع الصوتي المغلق متفوق من مجموع ٢١ مقطعاً صوتياً بـ ١٠ مقطع صوتي للدلالة على ذلك اليوم المرهب الذي يأتي كل مخلوق إلى الله تعالى خاضعاً ذليلاً وخاشعاً. ونقف عند قوله تعالى: (وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحْسِنُ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا) مريم ٩٨، هذه الآية الأخيرة من السورة، فيه تخويف وإنذار، متمثلاً بقوله (وَكَمْ أَهْلَكْنَا)، مشهد يغمر الإنسان بالسكون العميق والصمت الرهيب، (قطب، ١٤١٢هـ . الزمخشري، ١٤٠٧هـ)، ويأتي دور الصوت ليساهم في تصوير ذلك المشهد المليئ بالتخويف والإنذار والترهيب بمجئ ١٨ مقطعاً متوسطاً مغلقاً للدلالة على المشاعر (الخوف - الإنذار) الذي سيطر على جو الآية، كما يظهر في خريطة توزيع المقاطع الآتية:

مقاطع قصيرة : ٩

مقاطع متوسطة مغلق : ١٨

مقاطع متوسطة مفتوحة : ٢

3-2 : مقطع المتوسط المفتوح (ص ح ح) :

لم يأت في أي آية من الآيات الحجاجية المستهدفة للدراسة هذا، مقطع المتوسط المفتوح متفوق فيها؛ لأنّ هذا المقطع بحركاتها الممتدة يتطلب نفساً طويلاً ومستريحاً ليبر عن النعيم ومافيه من وسائل الراحة والطمأنينة، كما نجد في بداية السورة في قوله تعالى: (فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا) مريم ٢٤، جاءت المقاطع المتوسطة ١٨ مقطعاً، فيها ١٠ مقطعاً مفتوحاً متفوقاً على المغلق، وذلك لطمأنينة مريم وللتخفيف من ألمها وخوفها، بينما في الآيات الواردة في حدود بحثنا لم ترد مثل هذه المعاني، لذا لم يأت المقطع المتوسط المفتوح متفوقاً.

3 : الإيحاء الصوتي من خلال : احتساب المقاطع ضمن ظاهرتي: التدرج - المقابلة

3-1 : التدرج:

نسلط الضوء على ظاهرة التدرج العددي للمقاطع تدرجاً تصاعدياً و تنازلياً في سياق آيات دلالية تدرج صعوداً أو نزولاً حسب طبيعة الآية، منه قوله تعالى: (إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا) مريم ٩٣، ابتدأت هذه الآية الكريمة بذكر المخلوق الأكبر (السموات) ثم الأصغر منها وهي (الأرض) اقتداءً بالمبدأ التدرج النزولي في ذكر الكلمتين، وعلى المستوى الصوتي يلاحظ :

السموات/ ص ح ص ، ص ح ، ص ح ح ، ص ح ح ، ص ح = ٤ مقاطع

الأرض / ص ح ص ، ص ح ص ، ص ح = ٣ مقاطع

فشارك نظام الصوتي في مبدأ التدرج كذلك، متساوقاً مع السياق الدلالي، فبدأ بمقاطع الصوتي الأكبر وهي (السموات) المكون من ٤ مقاطع ، ثم المقاطع الصوتي الأقل منها وهي الأرض، المكون من ٣ مقاطع.

وبعد ذلك وفي قوله تعالى : (تكاد السماوات يتفطرن منه وتتشقق الأرض وتخر الجبال هداً) مريم ٩٠، لما يأتي إلى ذكر ما يكاد يحول إليه السماوات و الأرض من (الانشقاق - الانفطار) من فطاعة قول الانتساب الولد إلى الله سبحانه وتعالى! يلاحظ التدرج النزولي من الكبير إلى الصغير في البدء بذكرهما، كلتا الكلمتين تكونت من حيث المقاطع بهذا الشكل:

يتفطرن / ص ح ، ص ح ، ص ح ص ، ص ح ص ، ص ح = تشكلت من ٥ مقاطع

تنشق / ص ح ص ، ص ح ص ، ص ح = تشكلت من ٣ مقاطع

ابتداً الآية باللفظ الأكثر مقطوعاً وهو (تفطرن) للدلالة على السعة الأكبر للسماوات، ثم أختير اللفظ أقل مقطوعاً وهو (تنشق) للدلالة على السعة الأقل للأرض، فساهم المستوى الصوتي مع السياق الدلالي للآية.

وكذلك في قوله تعالى: (أفرايت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتيتن مالاً وولداً) مريم ٧٧، تحديداً في كلمتي: (مالاً - ولداً) يلاحظ التدرج صعوداً بذكر الأيسر حصولاً في الدنيا وهو المال ، يمكن أن يحصل عليه الناس في مدة زمنية قصيرة، ثم ذكر الولد، فهذا الثاني يستغرق وقتاً أطول لكسبها، فالنظام الصوتي ليس بمعزلٍ عن الدلالة بل يسير معها مسانداً، فالنظر:

مالاً : ص ح ح ، ص ح ص = مكون من مقطعين

ولداً : ص ح ، ص ح ، ص ح ح = مكون من ٣ مقاطع

إذاً المستوى الصوتي ساوق الدلالة في مبدأ التدرج الصعودي فبدأ بذكر الأقل عدداً في المقاطع وهو (مالاً) للدلالة على سهولة الحصول عليها ثم أتى باللفظ الأطول عدداً للمقاطع الصوتي وهو (ولداً) للدلالة على طول الأمد للحصول عليه .

2-3 : المقابلة:

في هذا الجزء نسلط الضوء على ظاهرة المقابلة العددية من خلال دراسة السياقات التقابلية في الآيات أو بين الآيات. من هذه الظاهرة الصوتية نقف عند قوله تعالى: (وإذا تئلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً) مريم ٧٣، فيما يبدو أن المشركين في قولهم: (تد تخ) يتباهون بكثرة رجالهم وعشيرتهم ومجلسهم، وفي آية رقم ٧٥ في قوله تعالى: (قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مداً حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة فسيعلمون من هو شر مكاناً وأضعف جنداً) مريم ٧٥، نشاهد في عبارة: (كل كم) وهي تعني: أقل فئة وأنصاراً، (الصابوني، ١٩٩٧)، رداً مناسباً لمقولة السابقة (أحسن ندياً) . وتشكلت العبارتين في بنيتهما للمقطوع الأصوات هكذا:

أحسن ندياً / ص ح ص ، ص ح ، ص ح ، ص ح ، ص ح ح = ٦ مقاطع

أضعف جنداً / ص ح ص ، ص ح ، ص ح ، ص ح ، ص ح ح = ٥ مقاطع

ونرى المقابلة ضمن آية واحدة، وعند قوله تعالى: (فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عدداً) مريم ٨٤، أي: لا تعجل يا محمد على هؤلاء في وقوع العذاب بهم، إنما نؤخرهم لأجل معدود مضبوط (كثير، ١٩٩٩) تقابل كلمتا: تعجل مع نعد، العجلة: ملازم لقصر الزمن، و نعد: ملازم لطول الزمن لعدائناهم وأيامهم ، وتشكلت كلتا الكلمتين المقابلتين في الآية مقاطع أصواتها هكذا:

تَعَجَّلْ / ص ح ص ، ص ح ص = مقطعان

نَعُدُّ / ص ح ، ص ح ص ، ص ح = ٣ مقاطع

فكان في قلة المقاطع لكلمة (تعجل) دلالة لقصر الوقت الملازم له، وفي طول المقاطع لكلمة (نعد) دلالة لطول الوقت فيه .

4 : النتائج:

وبعد، هذه أبرز النتائج التي توصل إليه البحث:

١: تبين مما سبق أن نظام المقطعي (syllable) في الآيات الحجاجي الوارد في حدود البحث منسجم مع أجواء الحجاج، ومتفق مع معانيها، كما وضحت في التعليقات السابقة على الآيات.

٢: قد بلغ المقطع القصير (٢٤٣) مقطوعاً، أي ٣٩,٩٪ من النسبة المئوية، وهي أكثر المقاطع وروداً في الآيات وذلك ليدل بإيقاعه القصير المتقطع في النفس على مشاعر القلق والاضطراب والانفعال والحيرة في الآية،

٣: يأتي بعدها المقطع المتوسط المغلق بـ (٢٢٩) مقطوعاً، أي ٣٧,٦٪ من النسبة المئوية، ليدل بإيقاعه إلى العقاب الصارم.

٤: ثم يأتي المقطع المتوسط المفتوح بعدد (١٣٧) مقطوعاً، أي ٢٢,٤٪ من النسبة المئوية، وهي أقل عدداً؛ لأن هذا المقطع بحركاتها الممتدة

يتطلب نفساً طويلاً ليعبر عن الطمأنينة والراحة، وأجواء النفسية لآيات الحجاج خالٍ من هذه المعاني؛ لذا نسبة مجيئها ضئيل .

٥: لاحظنا من خلال احتساب المقاطع ضمن ظاهرتي: التدرج - المقابلة، أنَّ المقاطع صيغت بشكلٍ دقيق ومتساق مع دلالة الآيات، فمتى كان الآية يرتقي بدلالاتها من معنى إلى معنى أكبر أو أقوى أو أعلى، فتتدرج المقاطع بالاتساع، وتتزايد عدد مقاطعها الصوتية لتتساق مع الدلالة.

٦: على العكس ماسبق، متى كان الآية تتحدر بدلالاتها من معنى إلى معنى أصغر أو أضعف أو أخط أو أدنى، رأينا المقاطع الصوتية تتناقص و تتضائل، وذلك لتتساق مع الدلالة كذلك.

٧: المقطع الصوتي من خلال تقنية احتساب المقاطع في هذا البحث وضح على أنه ساهم في تعميق القيمة الصوتية للمقابلة والموازنة إذهما من عناصر المكون للنص الحجاجي.

المصادر:

القرآن الكريم.

الأزهر، لجنة من علماء. (١٩٩٥). المنتخب في تفسير القرآن الكريم. ط: ١٨، مصر: مؤسسة الأهرام.

النقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن إبي بكر. (٨٨٥هـ). نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. القاهرة: دارالكتب الاسلامي.

الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا أبو. (١٩٧٩). معجم مقاييس اللغة. بيروت: دارالفكر.

الحمد، غانم قدوري. (٢٠٠٤). المدخل إلى علم الأصوات العربية الأردن- عمان: دار عمان.

الخطيب، عبد الكريم يونس. (١٣٩٠هـ). التفسير القرآني للقرآن. القاهرة: دار الفكر العربي.

الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي. (١٤٢٠هـ). التفسير الكبير، ط: ٣، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد. (١٤٠٧هـ). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. ط: ٣، بيروت: دار الكتاب العربي.

الزهراء، أبو. (٢٠٠٨). دروس الحجاج الفلسفي. ط: ١، مجلة الشبكة التربوية الشاملة.

السعران، محمود. (١٩٩٧). علم اللغة، ط: ٢، القاهرة: دارالفكر العربي.

الصابوني، محمد علي. (١٩٩٧). صفوة التقاسير. ط: ١، القاهرة: دارالصابوني للطباعة والنشر والتوزيع.

أنيس، إبراهيم. (٢٠٠٧). الأصوات اللغوية، ط: ٤، مصر: مكتبة أنجلو المصرية.

بشر، كمال. (٢٠٠٠). علم الأصوات القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر.

سينا، ابن. (١٣٣٢هـ). أسباب حدوث الحروف. القاهرة: مطبعة المؤيد.

شاهين، عبدالصبور. (١٩٨٠). المنهج الصوتي للبنية العربية. بيروت: مؤسسة الرسالة.

عبدالنواب، رمضان. (١٩٩٧). التطور اللغوي ومظاهره وعلله وقوانينه. ط: ٣، القاهرة: مكتبة خانجي.

عبدالجليل، عبدالقادر. (١٩٨٨). هندسة المقاطع الصوتية وموسيقى الشعر العربي رؤية لسانية حديثة. ط: ١، عمان: دارالصفاء للنشر والتوزيع.

عمر، أحمد مختار. (١٩٧٦). دراسة الصوت اللغوي، ط: ١، مصر: عالم الكتب.

قدور، أحمد محمد. (٢٠٠٨). مبادئ اللسانيات. دمشق: دارالفكر.

قطب، سيد. (١٤١٢هـ). في ظلال القرآن. ط: ١٧، بيروت: دار الشروق.

كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن. (١٩٩٩). تفسير القرآن العظيم. ط: ٢، دار الطيبة للنشر و التوزيع.

مبروك، مراد عبدالرحمن. (١٩٩٣). من الصوت إلى النص، نحو نسق منهجي لدراسة النص الشعري. القاهرة: عالم الكتب.

مصطفى، أبو سعود العمادي محمد بن محمد بن محمد بن. (٩٨٢هـ). ارشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم. بيروت: دارإحياء العربي.

منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن. (١٩٩٧). لسان العرب. ط: ١، بيروت-لبنان: دار الصادر.

نوري، محمد جواد. (١٩٩٦). علم الأصوات العربية. ط: ١، عمان-أردن: جامعة القدس المفتوحة.

مقال من دوريات:

تابتي، يمينة. (٢٠٠٧). الحجاج في رسائل ابن عباد الرندي. مجلة: مخبر، عدد: ٢، ص: ٢٨٤.